لِمَنِ الولاية العظمى؟

لِمَنِ الولاية العظمى؟

سماحة آية الله
السَّيِّد مُرتضى الحُسيني الشِّيرازي

الناشر

للتواصل:

الموقع الإلكتروني: www.alanwar14.org

البريد الإلكتروني: info@alanwar14.org

هاتف جوال: ٠٠٩٦٦٥٦٠٢٥٧٥٧٦

دار المؤمل للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

شارع بئر حرة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء وخاتم المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين، شجرة النبوّة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي، والفلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمن من ركبها، ويغرق من تركها، المتقدم لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق، واللعن الدائم على أعدائهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

بين يديك عزيزي القارئ، نفحة ولائية، لصاحب السماحة والفضيلة، آية الله السيد مرتضى الحسيني الشيرازي -يحفظه الله- تناولها سماحته في بحوثه العلمية العميقة النافعة، عند مرقد بطلة كربلاء السيدة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين، ومولى الموحدين، علي بن أبي طالب عليهما السلام، وقد ألقاها سماحته، في لفيف من الفضلاء والعلماء بالحوزة العلمية الزينبية بمنطقة السيدة زينب بدمشق.

ولأهمية هذا البحث القيِّم، واستدلالاته العميقة، طلبت

مؤسسة الأنوار الثقافية العالمية، من سماحة السيد المؤلف، مراجعته، وتصحيحه، وتضمينه بعض الرؤى والأفكار الجديدة، وقد استجاب سماحته لطلب المؤسسة، وجاء ذلك في منتصف شهر جمادى الأولى لسنة ١٤٣٥هـ، بمقر إقامته بالنجف الأشرف.

وبمناسبة مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لسنة ١٤٣٥هـ، قامت مؤسسة الأنوار الثقافية العالمية، بطباعته تحت عنوان: (لِمَنْ الولاية العظمى؟)، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المؤمنين السائرين على نهج أهل البيت عليهم السلام ويهدي به المخالفين إلى طريق الرشاد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مؤسسة الأنوار الثقافية العالمية

٢٥/ ٥/ ١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، باعث الأنبياء والمرسلين، ثم الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبي القاسم المصطفى محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، الأبرار المنتجبين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1].

(١) سورة المائدة: ٥٥ ـ ٥٦.

●

الفصل الأول

لمن الولاية العظمى؟

لمن الولاية العظمى؟

توطئة

ونحن نعيش في القرن الواحد والعشرين وفي عالم مليء بالحروب والانتهاكات، عالم يصنع من الإنسان مجرد آلة تتجه نحو المزيد من التجرد من العواطف والمشاعر بل والإنسانية، ويحول حياته إلى حياة بؤس وشقاوة ومادة، ما أجدر بنا بل بكل البشر أن نبحث عن الأسباب التي أدت إلى ظهور مثل هذه الظواهر المرة في الحياة البشرية.

إن المشكلة كل المشكلة تتمثل في نمط القيادة و شخصية القائد في العصر الحاضر والعصور السابقة التي تلت عصر الوحي، وضياع الإنسانية في اختياراتها للقائد الحق و القيادة الحقّة، وفقدانها البصيرة في تمييز صاحب الولاية والتولي عن غيره، من هنا أتت هذه الكلمات لتركز على من هو صاحب الولاية العظمى بالحق، ومن هو القائد الذي يجب أن يُتَّبع و يُقتفى أثره، ومفهوم الولاية وفلسفتها.

التاريخ على شفير زمزم.

لنـدع الحاضر هنيئـة و نحلق للحظـات إلى غابـر الزمان إلى قبل حوالي ألف و أربعمائة سـنة، نهبط في بقعة طاهرة بقرب الكعبة الشـريفة ما أقدسـها و أروعهـا من مكان، وعلى شـفير زمزم، نرصد هنالـك مجموعـة من الجلسـاء، وفيهـم متحدث و واعـظ يخاطب الجالسـين، إنـه عبـد الله بـن عباس وهو يسـرد الروايات عـن النبي الأعظـم ﷺ روايـة تلو رواية، قال رسـول الله ﷺ كـذا، وقال رسـول اللـه ﷺ كذا، وبينـا هو ماض في شـانه و حديثـه، يقتحم الجمـع الحاضـر رجـل معمـم ملثم، قد لا تـكاد تظهر مـن لمحات وجهـه إلا عيناه، جاء الرجل وولج في دائـرة القوم،كان كلما حدّث ابـن عبـاس عـن النبي ﷺ حديثـاً، ينبـري الرجل الغريـب مؤكداً كلامه قائلاً: نعم قال رسول الله كذا.

قـد ظهـر مـن طيـات حديـث الرجـل وكلامـه ومـن حركاته وسكناته وأسلوبه، أنه بحر علم، وبحر أدب وخلق ومعرفة وفضيلة، وأنه يمتلك شخصية متميزة فريدة.

اسـتغرب ابـن عباس مـن الرجل والـذي يكشـف منطقه عن مخبـره، فقـال له: سـألتك بالله من أنـت؟ فالرجل لم يـرد في بادئ الأمر أن يكشف عن شخصيته، ولذلك لف وجهه بعمامة، ولعل ابن عباس لم يكن اسـتفهامه عـن حقيقة الرجل بدافع حب الاسـتطلاع فقـط، بـل كان يريـد تأكيد صحـة رواياتـه و تمامية أحاديثه بشـهادة

الرجل المجهول ظاهراً[١].

هنا أماط الرجل اللثام، ثم قال: مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا جُندبُ بنُ جُنادةَ البدري، أبو ذر الغفاري. ولعل أسلوبه هذا كان تمهيداً لتكون شهادته اللاحقة أقوى، والوقع في النفوس أشد، والحجة للسامعين ومن يبلغه حديثه أتمّ.

وبعد أن تعرف الجالسون عليه أكمل أبو ذر الغفاري كلامه قائلاً: سمعت من رسول الله ﷺ بأذنيَّ هاتين وإلا صمّتا، ورأيته ﷺ بعينيّ هاتين وإلا عميتا، يقول: «عليٌّ قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصورٌ مَنْ نَصَرَه، ومخذول من خذله».

سائل قليل الصبر وإمام عظيم الكرم.

بعد ذلك حدّث أبو ذر الغفاري الجالسين والمستمعين بقضية حدثت معه في المسجد النبوي، فلنكن معه في رحلته إلى المسجد النبوي الشريف وحديثه، حيث يصوّر لنا مشهداً عظيماً من صلاة يؤمها الرسول و يأتم به علي -صلى الله عليهما وآلهما- وجمع من صحابته الأخيار المؤمنين، قال: بينا كنت أصلي الظهر مع الرسول ﷺ في مسجده، وإذا بسائل دخل المسجد، مستعطياً والأنام في صلاتهم، فرفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم اشهد أنني سألت في مسجد رسول الله، فلم يعطنِ أحدٌ شيئاً». هنا وبعد أن سمع الناس

(١) ويحتمل أن يكون ذلك باتفاق مسبق بينهما، والغرض تأكيد أحاديث رسول الله (ص) التي أعرض عنها قسم من الناس وأنكروها.

مقال الرجل، وبينما كان علي عليه السلام راكعاً، أشار إليه بخنصره وفيها الخاتم، أن خُذها، فأخذها ذاك الرجل الفقير المستعطي.

لقد كان ينبغي على السائل أن يتريث قليلاً كي تتم صلاة المصلين، كما كان عليه أن لا يقطع عليهم انقطاعهم إلى الله تعالى، إلا أنه قد يبدو من سياق الرواية و الحيثيات المكتنفة بالواقعة أن السائل كان قليل الصبر، ولذلك أظهر ردة فعل سريعة من نفسه تجاه ما حدث، بالرغم عن مشاهدته لواقع من كان في المسجد، ولعل علياً عليه السلام لم يُشر للسائل بالخاتم بمجرد دخوله المسجد وطلبه المساعدة، من حيث أن الحالة الطبيعية لمثل سائل يواجه موقفاً كهذا أن ينتظر لحين انتهاء المصلين من صلاتهم، غير أن الإمام عليه السلام عندما رأى نفاد صبر السائل، وشكواه ممن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيهم رسول الله نفسه، إذ قال السائل: «اللهم أشهد أنني في مسجد رسول الله أطلب ولا أجد أحداً يعطيني شيئاً» أشار بيده للسائل، أي خذ الخاتم، فقام السائل بأخذه، فكان هذا التصرف من الإمام نتيجة لحدوث عنوان ثانوي جديد.

ولعل من وجوه العنوان الثانوي للاستجابة السريعة من الإمام لطلب السائل بعد أن تفوه بكلامه ذاك -وهو راكع في حال الصلاة-: أنه كثيراً ما يُنقل الخبر مجرداً من قرائنه وتفاصيله، فمن الممكن أن تنقل الحادثة للأجيال القادمة على نمط يشوه الصورة تماماً ويحرف واقع ما كانت عليه تلك الواقعة، بحيث يقع اللوم على الحاضرين في المسجد لا السائل نفسه، كما إذا صورت الواقعة: أن سائلاً دخل

المسجد فاستعطى فلم يعطه أحد شيئاً، فاشتكى السائل إلى الله.

ومن الطبيعي أنه لو تم نقل الواقعة بهذا النحو المقتضب، ومن دون ذكر أن الرسول وأصحابه كانوا في حال الصلاة، كان لا جرم سيُلقى مستمع الحديث ومتلقيه اللومَ على الحاضرين وربما على الرسول نفسه، وتتولد لديهم أسئلة شتى مثل لماذا أهمل الحاضرون بما فيهم الرسول، السائل من غير تجاوب منهم معه ولا عطاء منهم له، خاصة لو لاحظنا كثرة أعداء الرسول والمغرضين ومحرِّفي الحقائق والتاريخ، وتربصهم لكل واردة وشاردة ليوجهوا ضربة قاضية، ويشوهوا الصورة المشرقة للنبي الأعظم ووصيه، لذلك ولغيره من الأسباب أشار الإمام عليه السلام فوراً وبينما هو في الصلاة ومن دون أن يؤجل العطاء لما بعد الصلاة، بيده للسائل ليأخذ الخاتم.

ولنسترجع تفاصيل الرواية من جديد:

من هو ناقلها؟ وعند من؟ وأين؟ وكيف؟

إنه أبو ذر الغفاري في محضر ابن عباس، و قرب البيت الحرام، وهم جالسون على حافة زمزم.

ثم إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بعد رؤيته للمشاهد المتتالية، بدأ هو أيضاً بمسألته وطلبه من الله عزَّ وجلَّ، و لننظر ما الذي سأله بعد هذه الحادثة مباشرة، فإن كل سائل يسأل بقدر ما أوتى من معرفة ووعاء وقابلية، ولئن كان السائل في المسجد قد طلب شيئاً مادياً ثم

توجه بخطابه إلى الله تعالى، فإن الرسول ﷺ أيضاً أخذ يسأل ربه سؤالاً يتناسب مع عظمته وعقله وحكمته، فإنه أعقل العقلاء وأحكم الحُكماء، وأكثر الناس علماً ومعرفةً وذكاءً وفطنةً وكمالاً.

لذا نجده ﷺ قد انتهز الفرصة، فالتفت إلى السماء وقال: اللهم إن موسى سألك فقال: ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾.

كانت هذه الكلمات بمثابة التمهيد و التوطئة لطلبات النبي ﷺ من الله عزَّ وجلَّ، وبيان أهمية ما سيطلبه بعد قليل، فقد بيّن الرسول في كلماته تلك، نوعية الطلبات التي وجهها نبي عظيم من أنبياء أولي العزم وهو موسى بن عمران، إلى الله تعالى، إنها طلبات ليست بصغيرة الشأن بل هي عظيمة بعظم سائلها، فكلما كان السائل عظيماً لا جرم كان ما يرومه عظيماً يتناسب مع مقامه العالي.

من هنا كان ولابد أن يكون طلب النبي محمد ﷺ يتناسب مع قدر عظمته أيضاً، وحيث أن النبي ﷺ أعظم من موسى عليه السلام و حيث أنه أعظم الخلائق والكائنات، والممكنات على الإطلاق، فيكون ما سأله من ربه آنذاك من أعظم المسائل والطلبات.

إذن لنر ما الذي سأله الرسول ﷺ من ربه:

ثم التفت النبي محمد ﷺ إلى الله وسأل الله تعالى قائلاً:

«اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، رب اشرح لي صدري،

ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، علياً أشدد به ظهري».

ولنركز الآن على ثلاثة مشاهد أساسية في هذه الرواية:

المشهد الأول: سائل يأتي المسجد يستعطي على قَدرِ حاله.

المشهد الثاني: موسى عليه السلام على قدر عظمته وبمستوى عقله وإدراكه الرفيعين العاليين، يستعطي الله تعالى.

المشهد الثالث: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو أعظم خلائق الله يبدأ بمسائلة ربه: «أن يجعل علياً ظهيراً وظهراً له، وأن يُشركه في أمره، ويُيسِّر له أمره».

يقول أبو ذر مكملاً: «فما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل عليه جبرئيل من عند الله فقال: يا محمد اقرأ قال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾»[1]. هذه الرواية هي شأن نزول هذه الآية القرآنية الكريمة، وهي مما أجمع أعلام الإمامية عليها، و قامت عليها الشُهرة القطعية للمخالفين وأهل العامة، فالرواية منقولة في العشرات من مصادرهم، وذكرها الكثير منهم.

يقول المرجع الديني السيد عبد الأعلى السبزواري -رحمة الله تعالى عليه- في كتابه (مواهب الرحمن في تفسير القرآن): «لقد أجمعت الإمامية على هذه الآية ونزولها في هذا الشأن، وعليه أكثر الجمهور من العامَّة، بل يمكن دعوى تواتر الأخبار في ذلك، فقد

(١) وهذا الطلب جاء في آيات بينات من سورة طه: الآية (٢٥-٣٥).

نقلها أئمة الحديث، والحُفّاظ في كتب الأخبار، واشترك في نقلها جمع وجمهرةٌ من الصحابة كابن عباس، وأبو ذر، وأنس بن مالك، وعمّار، وجابر، وسلمة، وأبي رافع... الخ. ونقلها أئمة المفسرين بالمأثور كأحمد، والنسائي، والطبري، والطبراني، وأوردها المتكلمون في الكتب البيانية، وتسلموها بالقبول، وكذلك نقلها، وتلقى ذلك بالقبول جميع الصحابة في عصر النزول، والتابعون، وأئمة الأدب، وفحول المفسّرين، كالزمخشري في الكشاف، وأبي حيان في تفسيره، وغيرهم»[1].

فالرواية مسلمة الصدور، وإن حاول بعض العامة المناقشة فيها، إلا أنها كما سبق من المجمع عليها عند الإمامية، و من المشهورات عند غيرهم وإن أبى البعض الاعتراف بها.

فالأولى -بعد القطع بصدورها- أن نتوقف عند بعض المباحث الهامَّة، والدقيقة حول هذه الآية المباركة، ضمن نقاط عديدة:

(١) احتمالات ثلاثة في المراد بـ﴿والَّذِينَ آمَنُوا﴾.

النقطة الأولى: ما هو المقصود بـ: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**.

هناك ثلاثة احتمالات:

(١) تفسير مواهب الرحمن : الجزء (١١) ص٤١٨- ٤١٩ ذيل تفسير سورة المائدة الآية (٥٥).

الاحتمال الأول:

إن هذه الآية نزلت في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بإجماع الإمامية، وشهرة كاسحة من أهل العامة[١] على ذلك إلا الشاذ النادر المتعصب المغرد خارج السرب، المغالي في تعصبه منهم، ولا يخفى أن خروج الشاذ من المتعصبين لا يضعف الإجماع ولا يوهنه بل يؤكده فإن «الحق مع جماعة المسلمين» على مبناهم، وأن «الشاذة للذئب» و «يد الله مع الجماعة» و «دع الشاذ النادر فإن المجمع عليه لا ريب فيه».

فهذا الاحتمال الذي نعقد عليه الإجماع هو: أن هذه الآية نزلت في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

الاحتمال الثاني:

وهذا ما ادعاه نفر من المتعصبين، من أنها نزلت في عامَّةِ المؤمنين فـ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾، يعني أن الولاية ثابتة لكل المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها ممن أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع.

الاحتمال الثالث:

وهو الأصح أن الآية نزلت في اثنى عشر شخصاً جعلهم الله تعالى أولياء على خلقه وخلائقه ولم تنزل في شخصية واحدة

(١) راجع تفسير البرهان ج ٢ ص ٤٨٦.

فحسب، بل نزلت في الإمام علي بن أبي طالب، والإمام الحسن المجتبى، والإمام الحسين الشهيد بكربلاء، ثم الإمام زين العابدين، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق، والإمام موسى الكاظم، والإمام علي بن موسى الرضا، والإمام محمد الجواد، والإمام علي الهادي، والإمام الحسن العسكري، والإمام المنتظر -عجل الله تعالى فرجه الشريف- وهؤلاء هم أئمة المسلمين المعروفون، وهم عِدل القرآن والثقل الثاني بعد الكتاب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[1].

هذا الاحتمال الثالث هو الأصح، وهو لا ينفي الأول، فلا تضاد ولا تدافع بينهما بل إنه يتضمن الأول ويؤكده ويزيد عليه، نعم تدل الآية على علي عليه السلام بالدلالة المطابقية على الأول، و بالتضمنية على الثاني.

وسنتطرق إلى هذا الاحتمال في النقطة الثالثة من البحث -إن شاء الله- ونقيم البرهان عليه، استناداً إلى الآية الشريفة بنفسها، وإنها بنفسها دليل على أن المقصود بها كل الأئمة الاثني عشر من بعد رسول الله من قريش، بدءاً من الإمام علي -عليه الصلاة وأزكى

(١) وسائل الشيعة: ج٢٧، ص٣٤، ح٩. وقد وردت هذه الرواية في العشرات من مصادر أهل العامة أيضاً، كما أشار إليه السيد المحاضر في مبحث تواتر أخبار مولد الامام المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

السلام- ووصولاً إلى الإمام المهدي -عجل الله تعالى فرجه الشريف-، فنستدل بها أولا ثم نستدل -أيضاً- بروايات عديدة دالة على هذا المطلب إنشاء الله.

أدلة ستة على عدم عموم ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا**﴾ لكل المؤمنين.

أما الاحتمال الثاني فبالرغم من وضوح بطلانه في حد ذاته، إلا أننا نستدلُّ بالآية الكريمة على بطلانه بوجوه ستة:

الوجه الأول: وهو المشهور بين المفسرين، ما ذكروه في شأن النزول، إذ يظهر به وبدون شك تواتر شأن مورد نزول الآية، و إنه هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه الذي ﴿**يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾.

الوجه الثاني: هو إن ﴿**إِنَّمَا**﴾ أداة حصر في قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ**﴾ فالآية صريحة في أن الله سبحانه يحصر الولاية في أناس معدودين، ولو رجع الأمر إلى ثبوت الولاية لعموم المؤمنين فسيكون الحصر حينئذٍ لغواً وباطلاً، بل غلطاً فإنه إذا كان المقصود: أن الولاية ثابتة لعامة المؤمنين، فكيف يستخدم أداة الحصر الصريحة؟

وكتدليل على ذلك نستعين بمثال عُرفي واضح، لو افترضنا أنه يوجد في المسجد عشرة أشخاص، وكان زيد فقط هو العالم فيصح القول: إنما العالم منهم زيد، أما إذا كانوا كلهم علماء، ثم قيل: إنما العالم زيد فإن استخدام أداة الحصر هنا سيكون غلطاً لا مبرر

خطابي لاستعماله، لأن لفظة (إنما) تفيد عقدي السلب والإيجاب، تحصر الحكم في شخص، وتنفيه عن أشخاص آخرين.

فقول القائل: إنما زيد عالم، يعني أن غيره ليس بعالم، و قوله: إنما جاء زيد، يعنى أن عمراً لم يجئ، وأما إذا جاء زيد ومعه عمر، فقال القائل: (إنما جاءني زيد) فهو خطأ وتهافت بالقول.

والحاصل: إن أداة الحصر (إنما) في الآية بينة الدلالة على أن هؤلاء قِلة، وإنهم أولياء وقادة، والبقية هم الأتباع والمولى عليهم، وإن هذه المجموعة التي أثبتت لها الولاية، هي مجموعةٌ مُتميزةٌ خاصة.

الوجه الثالث: تفكيك المضاف عن المضاف إليه في قوله (وليكم)، إذ من الواضح وجود مغائرة بين المضاف والمضاف إليه، فولي المضاف غير كاف الخطاب المضاف إليه، مثلما نقول: خالقكم الله، فالخالق مغائر للمخلوق (كم)، وكقول القائل للعبد: مالكك زيد، وغيرها من الأمثلة، صديقك و زوجتك ودارك.

وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ**﴾، فإن (الولي) هو المضاف، والضمير (كم) هو المضاف إليه، فكيف يعقل أن يكون المضاف هو عين المضاف إليه، أي أن يكون الولي هو جميع المؤمنين والمولى عليه هو جميع المؤمنين أيضاً؟

الوجه الرابع: مفهوم الولي والمولّى عليه، فإن الولاية من المعاني الإضافية التي تتحقق بتحقق أطرافها المتباينة بالذات، فهناك

ولـي وهناك مولّى عليه وهناك نسـبة إضافيـة بينهما، وهذه الأطراف متغايـرة بالبداهة، كتغايـر المالك والمملوك، والـرازق والمرزوق، والمعلـم والمتعلم. وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ**﴾ يوجد ولّي ويوجـد مُولّـى عليه، فلو كان الولي هو عامة المؤمنين فمن سـيكون المولى عليه حينئذ؟.

الوجه الخامس: الحصر بالصفات، فإننا نلاحظ أن الله تعالى فـي مقام جعل الولاية للأولياء، يبدأ بتضييق الدائرة شـيئاً فشـيئاً من خـلال التقييد بالأوصاف، مما يرشـدنا إلى إرادتـه مجموعة محددة تنطبـق عليها المواصفـات. فبداية تطرق إلى وصـف الإيمان فقال: ﴿**إِنَّمَـا وَلِيُّكُـمُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ ثـم أُضيفت صفة أخرى ﴿**الَّذِيـنَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾ فإن إقامـة الصلاة غير أداء الصلاة، فليس كل مصـل بمقيم لها، و هي مرتبة أسـمى وأعلى وأخص من الإتيان بالصلاة، ولذا ورد «أشهد أنك قد أقمت الصلاة»[1].

ثم ضُيِّقـت الدائرة أكثر فأكثر بـ﴿**وَيُؤْتُـونَ الزَّكَاةَ**﴾ ثم ضُيِّقت الدائـرة أكثـر بـ﴿**وَهُـمْ رَاكِعُـونَ**﴾. إذن ليس مـن المحتمل ولا من المعقول أن يكون المقصود (وليكم كل المؤمنين أو كل المسلمين) أي: كلكـم ولـي لكلكم، لوضوح أنه في الواقـع الخارجي هناك من المؤمنيـن من لا تنطبق عليه المواصفـات المذكورة. هذا مضافاً إلى إن مثل هذا المعنى يرفضه الذوق السليم، و بعيد عن الفطرة السليمة، إذ كيف يُقال: «إنما وليكم كلكم على كلكم».

(١) وردت في معظم الزيارات الشريفة لأئمة المسلمين عليهم السلام.

الوجه السادس: نسبة الولي والولاية إلى الله سبحانه وتعالى، فإن الملاحظ أن الله سبحانه بدأ بإسناد الولاية لذاته ثم لرسوله فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، من دون أن يبتدأ في الإسناد إلى الرسول أولاً، ولعل الوجه في ذلك لإفادة أن هذه الولاية تتميز عن غيرها من الأنواع الأخرى من الولايات، ولو لا هذا التميز في نوع الولاية كان بالإمكان الاكتفاء بذكر الرسول من دون ذكر نفسه جل جلاله، إذ أن كل مسلم يدرك جيداً أن الولاية لله تعالى، فالسير الطبيعي للكلام -لو لا النكتة التي أشرنا لها- أن يبتدأ الكلام بإثبات الولاية للرسول، فيقول: إنما وليكم رسول الله والذين آمنوا، لكنه قال جل اسمه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي أنه بدأ بنفسه، لماذا؟ لأن الآية في صدد إثبات نوع متميز وخاص من الولاية للرسول و الذين آمنوا، وهو نفس الولاية التي أسندها الله تعالى لنفسه، فكأنه تعالى أراد القول: هناك شيء مُتميز وهو ولايتي، وهذا المتميز والمنسوب لي أُعطيه للرسول والذين آمنوا، أي أنه جعل امتداد ولايته للرسول والذين آمنوا، و بالطولية بالمعنى الحقيقي، وهذا الشيء الثابت لي أعطيته أيضاً لهذه السلسلة النورية.

ومن البديهي أن الله عندما يُعطي شيئاً فإنه لا يفقده، فلو أعطى العلم فهل سيفقد ما أعطى؟ كما إن من البديهي أيضاً أن المراد ليس إعطاء ذات الولاية التي له تعالى للرسول وللأئمة عليهم السلام بل إعطاء شعاع منها، أي امتدادها، أي الولاية الطولية، وذلك كالوكيل الذي يعطيه الموكل مثلاً صلاحية إجراء العقود فإنها امتداد ولايته لا أنه فقدها وقد أعطاها بعينها.

وبعبارة أخرى: أن كلمة الولي في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ عندما أسندت إلى الله أفادت هنا تميُّزاً خاصَّاً لمعنى الولي ولمعنى الولاية، وهذا المعنى التميُّز أعطي شعاع منه للرسول ﷺ وأعطى للذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة.

وأما لو قلنا بتعميم هذه الولاية لعامة المؤمنين والناس، فإن الكلام حينئذ سيكون بلا وجه متين ولا معنى خاص، إن الله سبحانه وتعالى يقول: «أنا وليكم، كلكم مثلي في هذا الشأن، وكلكم أولياء لكلكم».

والحاصل: إن القول الثاني واضح البطلان.

أما الاحتمالان الآخران فالمتحصل أن الثالث هو الصحيح وهو المُتعين، وذلك لوجود الشواهد من الآية نفسها، مضافاً إلى الروايات الدالة عليه، بأن المقصود «الأئمة من بعدي إثنا عشر، كلهم من قريش»[1] كما قال رسول الله ﷺ في روايات نقلها الفريقان: شيعة وعامة. كما سيأتي بيان ذلك عن قريب بإذن الله تعالى في النقطة الثالثة من البحث.

دالة على.

(١) راجع من مصادر الشيعة: أمالي الشيخ الصدوق ص ٣٨٧ باب عدد خلفاء رسول الله ، والخصال ص ٤٦٩ باب الخلفاء والأئمة بعد النبي ﷺ، وبحار الأنوار للشيخ المجلسي: ج٣٦، ص٢٣١، ففيه روايات عديدة ومفيدة في الباب، ومن مصادر العامة: البخاري ج ص ١٢٧ ، ومسلم ج ٦ ص ٢ و ٣ باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش.

(٢) لماذا أفردت صيغة (وَلِيُّكُمُ)؟

النقطة الثانية: لكن قبل ذلك نتساءل: لماذا أفرد الله سبحانه وتعالى صيغة ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ وجعلها مفردة؟ دون استخدام صيغة الجمع، فلم يقل: ﴿أوليائكم﴾؟

هناك حِكَمٌ عديدة نذكر بعض التي يحتمل منها في المقام، مع الأخذ بعين الاعتبار أن ذلك لا يعدو كونه احتمالا دون أن يرقى إلى تفسير، فإن الحِكَم في ذلك قد تكون أكثر بكثير ما يعجز على الذهن البشري الإحاطة بها كلها، فقد تكون هناك من الحِكَمْ الموجودة في كل كلمة من كلمات الله -جل وعلا- ما لا يعد ولا يحصى، فإن كلام الله بحرٌ عميقٌ، لا تنفذ خزائنه ولا عجائبه، كما قاله علي عليه السلام في خطبة له في نهج البلاغة: «لا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه»[1]، وقد شرح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام نقطة باء «بسم الله الرحمن الرحيم» لابن عباس ليلةً للصباح ولم ينته[2].

فالمذكور هنا وعلى سبيل الاحتمال لا الجزم هو بعض الحِكم:

الحكمة الأولى: لبيان أن الولاية طولية.

وهي بحاجة إلى دقة وتدبّر وتعمق وبيانها: أن من الحكم

---

(١) نهج البلاغة: خطبة رقم ١٥٢.

(٢) الإمام علي عليه السلام في القرآن، للمرجع السيد صادق الشيرازي دام ظله ج ١ ص ١٣، عن ينابيع المودة للقندوزي الشافعي.

في إفراد ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ الإشارة إلى أن هذه الولاية المعطاة هي ولاية واحدة فقط، ولكنها طولية، وليست ولايات عرضية، وأفقية، بل هي امتدادية عمودية. كما يستفاد منها أيضاً على ما سيأتي امتداد سلسلة الأئمة إلى يوم القيامة، وأن الأرض لا تخلو من حُجة. وبيان ذلك يتضح عند ملاحظة الأشباه والنظائر فإن الأشياء تعرف بأشباهها كما تعرف بأضدادها، ضمن ما يأتي:

ولاية المراجع: عرضية.

لقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم ارحم خلفائي، قيل: يا رسول الله ومَنْ خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي، يروون حديثي وسنتي»[1]. والسر في استخدام صيغة الجمع الخلفاء، دون صيغة المفرد الخليفة حيث لم يقل: «اللهم ارحم خليفتي»، لبيان أن خلفاؤه وهم العلماء ومراجع التقليد بعضهم في عرض البعض الآخر، ففي كل زمن هناك مجموعة من الذين جمعوا الصفات من مراجع التقليد الذين هم من استخلفهم الرسول لزمان بعد الغيبة، واحتمال إرادة المعصومين عليهم السلام من الرواية وإن كان وجيهاً إلا أن الظاهر أنه تفسير بالمصداق، خاصة بلحاظ ما ذكره صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك: «ويروون حديثي وسنتي» فإنه علة أو بمنزلتها.

وهذه الرواية من الروايات التي تدّل بوضوح على أن الولاية -لأي حدٍ كانت- هي لكل الفقهاء الجامعين للشرائط، وليست

(١) راجع: الفقيه ج ٤ ص ٤٢٠ حديث ٥٩١٩، و أيضاً: وسائل الشيعة للحر العاملي: الجزء (٢٧) صفحة (٩١).

لفقيه واحد، كما لو قال شخص: (هؤلاء وكلائي) فإن المشار إليهم كلهم وكلاء في عرض واحد، بلا طولية، وبلا أن يكون أحدهم تابعاً للآخر أو محكوماً له، مادامت الكلمة التي منحتهم الوكالة كلمة عامة شاملة لهم جميعاً، وحينئذ فلا يحق لأحدهم أن يتسلط على الآخرين ويدعي أنه الولي عليهم؟ وعند تصفح كل أدلة ولاية الفقيه المذكورة، ومنها: الفقهاء حصون الإسلام[1] نجد اللسان نفس اللسان، (الفقهاء) وليس فقيهاً واحداً، (حصون) وليس حصناً واحداً، فإن كل فقيه جامع للشرائط هو حصن من حصون الإسلام.

هنا وبالمقارنة بين التعبيرين يظهر وجه إفراد (وليكم):

فإن «اللهم ارحم خلفائي» تفيد العرضية، بينما ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ وليس (أوليائكم) تفيد الطولية، و أنه ليس بعض منهم بعرض البعض الآخر بل هم في طول الآخر.

والحاصل: أنه توجد ولاية واحدة لله -سبحانه وتعالى- هي لله تعالى بالأصالة، ثم لهؤلاء الأطهار طولياً بالتبع واحداً أثر آخر وكابراً بعد كابر. مثل الموكِّل والوكيل، فالوكيل شُعبة وشعاع من الموكِّل، من ولايته، من سلطته وسلطنته.

الحكمة الثانية: لكي تفسرها سائر الآيات.

الحكمة الثانية: إن الله تعالى استخدم مفردة (ولي) فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ ولم يقل (إنما أولياؤكم) لأن نفس هذه المفردة

(١) الكافي للشيخ الكليني: الجزء (١) صفحة (٤٦).

(ولي) بما هي مفردة وبصيغة المفرد، استخدمت في مواضع أخرى من الآيات القرآنية الكريمة، بمعنى عميق ذي دلالة عميقة، فكأنّ الله تعالى يوضح لنا بهذا التطابق الدقيق في استخدام المفردات، تفسير كلمة (ولي) في هذه الآية الشريفة، فيفهمنا: أن معناه هنا هو نفس المعنى المراد به في آيات أخرى، وأنه لا يراد به سائر المعاني الأخرى التي توهمها القوم في تفسير الولي الوارد في آيتنا مثل (الناصر) و (المحب) ولا نظائرها، بل هو معنى أوسع وأشمل بكثير، فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

وسنتوقف قليلاً عند كلمة (الولي) الواردة في سائر الآيات الأخرى، ليتضح أن معناها هنا هو نفس المعنى الذي يراد به هنالك. قال تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1] فماذا يعني الولي هنا؟ إنه يعني: المالك الأَوْلَى بالتدبير، الأَوْلَى بالتصرف، فهو الولي بما للكلمة من معنى، رداً لمن اتخذ الأصنام أولياء دونه ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾ وهم الأصنام، فيقول جل شانه: ﴿**فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ**﴾.

إن القوم لا يكابرون في هذه الآية، ولا يحاولون صرف (الولي) إلى معاني ثانوية، و لا يُطاولون ليدفعوا حق من نزلت في شأنه آيتنا المباركة وهو علي بن أبي طالب عليه السلام ما دام الأمر هنا في هذه الآية لا يرتبط بالإمام علي بن أبي طالب حتى يتكبدوا عناء التأويل وصرف المعنى إلى معانيه الأخرى.

---

(١) سورة الشورى: الآية (٩).

و لنسأل كل المفسرين بعامتهم وشيعتهم ونواصبهم، أنه ما هو تفسير الولي هنا، وما هو معنى الآية الكريمة: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ**﴾ وما هي الولاية المسندة إلى الله تعالى؟ سيجاب من دون ريب إنه هو الأَوْلَى بالتصرف والأَوْلَى بالتدبير، كما يقول القائل في (ولي الأمر) و (ولي الطفل) وما أشبه ذلك.

بل نقول مضافاً إلى ذلك ومع قطع النظر عن المعنى اللغوي للولي، يمكن الاستدلال في أن المراد به هنا الأولى بالتدبير والتصرف، بقرينة المقابلة في المقطع السابق من الآية ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ**﴾ أيضاً، إذ ما الذي كانوا يعتقدونه في آلهتهم من أصنام وغيرها؟ هل كان مجرد اعتقاد منهم بأنها المحب؟ أو أنها الناصرة؟ كلا، بل كانوا يعتقدون أنها الأولى بالتصرف والتدبير، وأنها المهيمنة عليهم، وأن بيدها خيرهم وشرهم، وأنها وسائط للرزق أو هي الرازقة لهم.

وكذلك نجد معنى كلمة (ولي) في آية أخرى، في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا**﴾[1] حيث لم يقصد بـ (ولياً) هنا النصير، لتعقبه تعالى بذكر النصير، بل أُريد منه الأَوْلَى بالتصرف والتدبير. وهكذا فإذا تتبَّع المرء الآيات القرآنية الكريمة الأخرى يجد أن كلمة (الولّي) ظاهرة الدلالة على معنى الولاية دون شك، استخدمها وأسندها إلى ذاته القدسية فقال تارة: ﴿**وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا**﴾، وأخرى: (فالله هو الولي)، وأخرى كما في

(١) سورة النساء: الآية (٤٥).

آيتنا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

و هذه الحكمة الثانية استفدناها من السيد السبزواري -قدس سره- في تفسير (مواهب الرحمن في تفسير القرآن)[1] وهو تفسير جيد حاولوا أن تقتنوه إلى جوار التبيان للشيخ الطوسي، وتفسير مجمع البيان والصافي والبرهان ونور الثقلين و تقريب القرآن إلى الأذهان، ثم إنه -قدس سره- يذكر أيضاً آيات عديدة أخرى، ويدفع بعض الشبهات التي يمكن أن ترد على ما ذُكر في هذا الوجه الثاني.

وصفوة القول: لقد أفرد الله سبحانه وتعالى كلمة (وَلِيُّكُمُ)، لكي تفيد أن المعنى المقصود لكلمة (الولي) هو نفس المعنى الذي قُصد به (الولي) في الآيات القرآنية الأخرى استخدمت كلمة الولي فيها بصيغة المفرد والتي أسندت فيها (الولي) إلى الله سبحانه وتعالى.

(٣) لماذا عبر الله بـ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ دون (والذي آمن)؟.

النقطة الثالثة في البحث: أنه قد يتسائل: أما كان من الممكن أو من الأولى أن يقول الله سبحانه وتعالى: (إنما وليكم الله، ورسوله، والذي آمن، الذي أعطى الزكاة وهو راكع) بصيغة المفرد لا الجمع؟. فإن الآية نزل شأنها -إجماعاً من الإمامية وشهرة لدى

(١) تفسير مواهب الرحمن للسيد السبزواري: الجزء (٣٩٩) ذيل تفسير سورة المائدة، الآية (٥٥).

العامة كما سبق- في حادثة خاصة هي تصدّق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالخاتم في مسجد رسول الله وهو راكع، فالمفروض أن يقال -كما قد يتوهمه البعض- (إنما وليكم الله، ورسوله، والذي آمن الذي أعطى الزكاة وهو راكع) للتدليل الأكثر على نزوله في حق الإمام علي، حيث أن التعبير بالجمع قد يوهم التعميم مع أن الآية ليست بعامة.

والجواب: إن العدول عن هذا إلى ذاك هو لوجه وجيه جداً ولنكتة دقيقة هامة جداً وتوضيحه:

أنه توجد ههنا قضيتان تُستفادان من الآية القرآنية الشريفة، وكلتا الاستفادتين أساسيتان، الاستفادة الأولى من هيئة كلمة (يُقِيمُونَ.. يُؤْتُونَ) وهي صيغة المضارع في هاتين المادتين، والاستفادة الثانية من كلمة ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ وهي صيغة الجمع، وهي التي تفيد أن الولاية هي لمجموعة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام).

١- لم تكن القضية حادثة يتيمة.

الاستفادة الأولى: و بها يظهر بطلان من توهم أن الحادثة كانت حادثة واحدة يتيمة وتراً، إن المستظهر من الآية الشريفة نفسها معتضدةً بروايات متعددة: أن إنفاق علي عليه السلام وزكاته وهو راكع تكرر منه عليه السلام في مواطن عديدة، وإن الآية الشريفة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مراراً كلما تكررت الزكاة من أمير المؤمنين في الصلاة، وذلك تكريساً لمقام الإمام علي بن أبي طالب، فهذه الآية المباركة مثل الآيات الأخرى لم تنزل مرة واحدة بل نزلت مراراً

على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والـذي يدلنا علـى المطلب و تعدد الحادثة، هو الآية نفسـها، بلحاظ اسـتخدام صيغة المضارع في قوله: ﴿**يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾ وفي قوله: ﴿**وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾ وهي صيغة دالة على التجدد والاسـتمرار، لا تسـتعمل عـادة إذا صدر الفعـل مرة واحدة فـي الماضي، ويتضح ذلـك بالمثـال فإننـا إذا رأينا أحدهم قـام بفعل ما فإننـا لا نقول عنه: إنـه يفعل كـذا، بل نقـول فعل كـذا، فإذا ضـرب رجل زيـداً، نقول: إنمـا الظالم هـو الذي ضرب زيداً، ولا نسـتخدم صيغة المضارع إذا صدر منه هذا الفعل في الماضي لمرة واحدة فقط، فصيغة المضارع الواردة في الآية الشريفة تدلنا بنفسها إن هذه الحادثة وقعت أكثر من مرة.

تكرر التصدق وتعدد نزول الآية الكريمة.

وانطلاقا من تعدد الحادثة وتعدد نزول الآية الكريمة يظهر أنه لا تهافت ولا تعارض بين الروايات التي اختلفت في بعض تفاصيل شـأن النـزول، فـإن كل روايـة تشـير إلى حادثـة من تلـك الحوادث بخصوصياتهـا، فبعض الروايات مثلاً تقول: أن علياً تصدق بالخاتم وهو في خنصره.

رواية ثانية: حلة النجاشي.

وروايـة أخـرى تقول: أنـه كانت عليه عليه السلام حلّـة قيمتها ألف دينار أهداها النجاشـي لرسول الله فأهداها الرسول لأمير المؤمنين،

وكان علي عليه السلام مع زهده و تقشفه يرتدي الحلة إكراماً وإجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعتزازاً بهديته، فإنه من غير المحبذ أن يرد الإنسان هدية الشخص العادي، فما بالك بهدية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد كانت قيمة الحلة ألف دينار آنذاك، والقوة الشرائية للدينار كانت شاة، فألف دينار على هذا تعادل في الوقت الحاضر مايقارب مائة وثلاثين ألف دولار[1]، وهي القيمة الإجمالية للحُلّة. جاء علي عليه السلام إلى المسجد وقد ارتداها، فأتى سائل مستعطياً من في المسجد، فبادر الإمام -صلوات الله عليه- بإعطاء الحلة بلا تردد. وهذه الرواية مذكورة في الكافي الشريف[2]وفي غيره ولها تفصيل وليس هذا محل التطرق إليه.

رواية ثالثة: في مقابل اليهود.

ومن الروايات: أن مجموعة من اليهود منهم إبن صوريّا، ومنهم إبن يامين، ومنهم ثعلبة، ومنهم أسد، أسلموا فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا: يا رسول الله أن موسى قد أوصى ليوشع بن نون فجعله وصياً له، فمن وصيك؟ فنزلت الآية: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**﴾ فقال النبي: قوموا إلى المسجد، «ولا يخفى أن النبي كان يعلم حقيقة الأمر فإنه مخطط إلهي سابق والنبي مطّلع على

(١) بناء على ان كل شاة هي ١٣٠ دولاراً. علما بأن البلاد تختلف وقد يبلغ سعر الشاة ثلاثمائة دولار.

(٢) الكافي الشريف، للشيخ الكليني، الجزء الأول، صفحة (٢٨٩). والوسائل، وتفسير الصافي، والبرهان، ونور الثقلين، وغيرها كثير من المصادر الهامة.

المخطط، ولكن البشر قاصرون ومقصرون وجاهلون، وبعضهم معاند ومتكبر ومكابر فكان لابد من استخدام طرق متنوعة لتأكيد الأوامر الإلهية وترسيخها وإتمام الحجة بأنواعها المختلفة»، فنهضوا جميعاً، النبي ومن معه إلى المسجد، وإذا بسائل يخرج من المسجد، فقال له الرسول ﷺ هل أعطاك أحدٌ شيئاً؟

(وهو أعلم بالجواب إلا أنه أراد أن نطلع عليه من لسان السائل).

قال: نعم أعطاني هذا الخاتم، قال مَنْ؟

فقال: علي بن أبي طالب!

في أي حالة؟

فقال: في حالة الركوع!

فكبّر الرسول، وكبّر الجمع معه كلهم، وقالوا: الله أكبر.

ولنسأل انفسنا لماذا كبّر النبي، وماذا تعني التكبير في هذا المقام؟

والجواب: أن هذا التكبير له دلالات كثيرة، منها: أن الله أكبر من أن يوصف بالجهل، إذ رموه -من حيث يشعرون أولا يشعرون- بالجهل لأنه لا يعرف ضرورة أن يُعّين وصياً لنبي آخر الزمان، وهو أفضل الأديان وأسمى الأديان و هو الدين الخالد إلى آخر الزمان، فالله أكبر من أن يجهل ضرورة أن يُعّين لنبي آخر الزمان وصيّاً، أَمِنَ المعقول أن يُعين الله لكل الأنبياء وصياً وأوصياء، وهم أدنى مرتبة من رسول الله، مضافاً لمحدودية فترتهم، ولا يعّين للنبي وهو

الرسول حتى نهاية العالم وصياً؟ كيف؟ أيعقل ذلك؟

ثم قال الرسول ﷺ لهم: عليٌ وليكم من بعدي، فقالوا رضينا بالله ربّا، وبمحمد نبيّا، وبعلي وليّا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ تتمة الآية الشريفة ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[1][2].

ولنسترجع في مخيلتنا هذا التسلسل اللطيف، من بداية القصة وإلى سؤالهم عن الوصي، مَنْ وصيك؟ وإلى مجيء الجواب: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ ثم مجيئهم إلى المسجد ومشاهدتهم هذه الحادثة، فقد أشهدهم النبي ﷺ الحادثة، ليطابق الخُبر الخَبَر، ثم قولهم: رضيانا بالله ربّا، وبمحمد نبيّا، وبعلي وصيّا، ثم نزلت بقية الآية الكريمة: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾.

وهناك روايات أخرى عديدة تختلف في تفاصيلها تطلب من المفصلات.

دفع توهم.

وعليه نقول: أنه قد يتوهم متوهم وقوع تعارض بينها وتضاد، لكن هذا التعارض الظاهري المتوهم، يندفع إذا عرفنا أن القضية لم

(١) سورة المائدة: الآية (٥٦).

(٢)) آمالي الشيخ الصدوق ص ١٠٧-١٠٨ ، ووسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٩ ص ٤٧٨، ومعظم كتب التفسير بالمأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

تكـن حادثة واحدة، بل كانت عدة حوادث وقضايا، وأن الإمام علي بـن أبـي طالب عليه السلام تصدق مـراراً عديدة وهو في الصلاة وبأشـياء مختلفـة، فمـرة تصدق بالخاتـم، وأخـرى بالحلّة وبغيرهـا، مرة في صلاة الظهر، وأخرى في النافلة، إذ تصرح إحدى الروايات بأن ذلك كان فـي النافلـة، فيما تفيد روايـة ثانية أنه تصدق وهـو في الفريضة، وكل ذلك صحيح، إذ ليسـت هي حادثة واحدة حتى يتوهم التناقض وإنما هي عدة حوادث.

٢- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقصد بها كل الأئمة عليهم السلام.

الاسـتفادة الثانية: قد يقال أن من الوجوه في اسـتخدام الجمع فـي ﴿**والَّذِيـنَ آمَنُـوا**﴾ دون المفـرد هـو التنبيـه على أن مـن جعلت لـه الولايـة مـن قِبَلْ اللـه تعالى هـم مجموعة مـن البشـر المتميزين والمصطفاة وهم الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام.

فالأئمـة الإثنا عشـر على مرّ الزمن هم الأوليـاء لا فقط الإمام علـي عليه السلام وإلّا لـكان من الأنسـب أن يقال (الذي آمـن). وقبل أن أطالـع الروايـات خطر هـذا المعنـى على البـال، ثم اطمأننـت أكثر عندمـا وجدت أن الروايات دالة علـى ذلك أيضاً، خاصة إذا لاحظنا أن الله وجّه خطابه وكلامه لكل البشر على مرّ التاريخ، وهو في مقام التحدث عن أولياء الأمة على مرِّ التاريخ وإلى أن يحين موعد القيامة، وفي معرض تبيين القيادة المرتضاة من قبل الله تعالى، فالسـبب في استخدام صيغة الجمع (الذين آمنوا) دون المفرد (الذي آمن) عائد إلـى أن الله تعالى يريد إفهامنا أن الولاية والقيادة الربانية جعلت من

قبل الباري جل شأنه لمجموعة متسلسلة موجودة على مرِّ التاريخ، وليس شخصاً واحداً، وهم ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾.

كما يُستفاد أيضاً من الآية وجود إمام وولي منصوب من قبل الله تعالى في كل عصر وزمان ومكان، بملاحظة أن الخطاب القرآني ليس لزمان دون زمان ولا لمكان دون مكان، بل هو خطاب عام لكل الأجيال على مر التاريخ، ففي كل جيل وكل زمان وكل مكان تهتف الآية: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**...﴾ فلكل عصر ولكل جيل ولكل زمان هناك ولي حي، قائم بتدبير شؤون الناس والتصرف فيها، علموا به أم لم يعلموا، وآمنوا أم لم يؤمنوا وأذعنوا أم أنكروا.

هذا ما ترشدنا إليه نفس الآية وأما الروايات: فهناك روايات كثيرة دالة على ذلك، ذكرت في الكافي الشريف وغيره[1]، تدل على مطلوبنا هذا، وأن المقصود كل الأئمة الأطهار عليهم السلام وأنهم بأجمعهم تأسوا بجدهم أمير المؤمنين عليه السلام وقد انطبقت عليهم تلك الصفات بأجمعها، فقد دلت الروايات على أن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كان يُؤتي الزكاة وهو راكع إضافة إلى كونه مقيماً للصلاة بأعلى درجات إقامتها ومؤمناً بالله بأسمى وأجلى وأعلى وأتم وأكمل

(١) راجع الكافي الشريف ج ١ باب ما نص الله عزَّ وجلَّ ورسوله على الأئمة واحد فواحد ح ٣، وفيه قوله: (فكل من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النعمة مثله فيتصدقون وهم راكعون ...) الحديث ، و البرهان ج ٢ ص ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٨ و ٤٨٣ وغيرها الكثير.

درجات الإيمان، ثم الإمام الحسين عليه السلام كذلك، وصولاً إلى الإمام المهدي المنتظر -عجل الله تعالى فرجه الشريف- فكلهم كانوا كذلك، وكلهم هكذا صنعوا، وكانوا يصنعون، وليس مرة أو مرتين، وإنما مراراً عديدة.

●

الفصل الثاني

الولاية: حقيقتها، فلسفتها، ولوازمها

الولاية: حقيقتها، فلسفتها، ولوازمها

بني الإسلام على خمسة.

جاء في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام في رواية زرارة أنه قال: «بني الإسلام على خمسة أشياء، على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية»[1] وفي رواية أخرى: «ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية»[2] و سنتوقف قليلًا عند جملة «كما نودي بالولاية».

الدلالات العميقة لكلمة (كما نودي بالولاية).

علينا أن نتدبر في كل كلمة من هذه الرواية المحورية، إلا أننا سنختار كلمة (نودي) منطلقاً للتأمل والتدبر، فنتساءل: ماذا يعني النداء؟

---

(١) الكافي للكليني: الجزء (٢) صفحة (١٨) باب دعائم الإسلام، حديث رقم (٥).

(٢) الكافي للكليني: الجزء (٢) صحفة (١٨) باب دعائم الإسلام، حديث رقم (١ و ٣).

والجـواب: أننا عندما نتتبع كتب اللغة نجد أن اللغويين ذكروا للنـداء معاني عديدة، لكـن الجامع بين المعانـي المذكورة في كتب اللغة هو معنيان:

المعنـى الأول: النـداء هـو (صـوت أو صرخة باسـتغاثة) فإذا ناديـتَ واحداً مُسـتغيثاً بـه، فتقول: ناديتـه، أو أناديـه، أو نادى فلانٌ فلاناً، فـ(ناداه) أي (صاح به مستغيثاً).

المعنـى الثاني: (الطلب): وهو مطلـق الخطاب الموجه للغير حتـى إذا لـم تكـن هناك اسـتغاثة، أو لم يكـن هناك صـراخ، أو نداء بصوت عال.

وقـد يقـال: إن مجـرد الطلـب لا يطلـق عليـه النـداء، وأمـا الاسـتعمال فهـو أعم من الحقيقة، ولعل الطلـب هو جزء الموضوع لـه فقط، واللغوي شـأنه بيـان مـوارد الاسـتعمال، لا الموضوع له. فإذا ناديتَ شـخصاً بصوتٍ عالٍ، فهو المسـمى نداءً، وإلا فالحديث الطبيعي والطلب العادي لا يسـمى نداءً، نعم يمكن أن يقال: سـأله، طلـب منه، تحدثَّ معه، خاطبه، لكن لا يقال: ناداه، ما لم تكن هناك استغاثة، أو لم يكن هناك صوت عال.

دلالات (النداء) في آيات قرآنية أخرى.

وللتثبـت مـن ذلك علينـا أن نرجـع أولاً للقـرآن الكريم، وأن نتأمـل المعانـي المتضمنـة في كلمـة (نادى) فـي المـوارد الأخرى في الاسـتعمالات القرآنيـة: كقوله تعالـى: ﴿**وَنَادَىٰٓ أَصْحَـابُ النَّارِ**

أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1] فإننا نجد أن نداء أصحاب النار هنا إنما هو نداء باستنجاد، ونداء مصحوب باستغاثة، فأين **﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾** وأين **﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾** ؟ فيجب أن يصرخوا بصوت عالٍ حتى يصل صوتهم لهم، صراخاً مصحوباً باستغاثة.

وكقوله تعالى: **﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾**[2]، فإن نداء نوح على نبينا وآله وعليه السلام لابنه، كان نداءً بصوت عال وباستغاثة، لأن ابنه كان في معرض الهلاك والغرق وإصابة العذاب الإلهي، والخلود في النار، و مجابهة غضب الجبار.

وكقوله تعالى: **﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**[3] **﴿فَنَادَىٰ﴾** تعني هنا نداءً باستغاثة، واستنجاد حتى جاء الجواب **﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾**[4]. ففي هذه الموارد وغيرها نجد أنه قد أشرب في معنى النداء، الاستغاثة والاستنجاد، كما أشرب الصوت العالي والصراخ، وبذلك نعرف بعض مداليل (نودي) في الرواية الشريفة: «ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية».

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٥٠).
(٢) سورة هود: الآية (٤٢).
(٣) سورة الأنبياء: الآية (٨٧).
(٤) سورة الأنبياء: الآية (٨٨).

وعلى أي تقدير وسواء أقلنا بأن المنصرف من النداء هو ماذكرناه، وأن الاستغاثة هي جزء المعنى الموضوع له، وكذا الصوت العالي، وأن الطلب باستغاثة وبصوت عال هو المعنى الحقيقي، وأما المجرد عنهما فهو مجاز، أم قلنا: بأنه يطلق عليهما بالاشتراك اللفظي، أم قلنا بأن الاستغاثة والصوت العالي هما أيضاً من شأن الاستعمال لا من قيود الموضوع له، فإنه لا شك في دلالة قرائن المقام في تلك الروايات وفي هذه الرواية عليهما، أي على الاستغاثة والصوت العالي، وذلك بلحاظ سياق الآية، وقرينة الحكم والموضوع، وبقرينة سائر الروايات.

وموجز القول: إننا نجد في روايتنا أن مفردة (النداء) قد استخدمت فقيل: (وما نودي) من غير اختيار كلمة أخرى كـ: (وما طُلب من أحد) أو (وما سُئل)، وذلك لِتَضَمُّن هذا النداء مفهوم الاستغاثة والاستنجاد.

لماذا الاستغاثة والاستنجاد للتولي والولاية؟

ولكن ماذا يعني ذلك؟ وماذا يعني أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ينادي بالولاية، ويستغيث بأمته في شأن الولاية، وفي أن تتولَ علياً والأئمة من بعده؟ وكذا نداء الإمام أمير المؤمنين، والإمام الحسن وسائر الأئمة الأطهار عليهم السلام واستغاثتهم واستنجادهم بنا في ذلك؟

النبي وعلي عليهما السلام أبوا الأمة.

والسر في ذلك تكشفه لنا رواية أخرى، حيث ورد عن النبي

ﷺ: «يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة»[١] وفي تعبير آخر: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»[٢] فقد عبَّر النبي ﷺ بأروع تعبير عن العلقة الموجودة بينهما وبين الأمة، ويتضمن هذا التعبير في طياته سر الاستغاثة والاستنجاد والنداء للولاية، فإن النبي والإمام -عليهما وآلهما السلام- حيث كانا للأمة بمنزلة الأب الرحيم بل كانا هما الأب، فإنهما من دون ريب أحرص الناس على مصالح الأمة وعلى حفظهم وهدايتهم وإرشادهم، ومن البديهي بمكان أن الأب لا يريد لابنه الضلال ولا الضياع ولا الانحراف، كما لا يريد له أن يسلك طريق النار، فإذا رأى أن ابنه سيخرج عن الجادة، فإنه يناديه مستغيثاً به لكي يعود، فإن الضرر الذي يلحق بالإبن يلحق بالأب أيضاً، لأنه قطعة منه، و بَضْعَة منه، و جزء منه، لأنه يحبه ويخاف عليه من الهلاك.

ثم إن هذه الرواية: :أنا وعلي أبوا هذه الأمة»[٣] تمتد من النبي والإمام علي عليه السلام لتعمّ بدلالتها الأئمة واحداً أثر آخر وصولاً للإمام الحجة المنتظر -عجل الله تعالى فرجه الشريف- ذلك لأنهم نور واحد وامتداد واحد، فكلهم جميعاً بمنزلة الأب الرحيم بل هم الأب الرحيم.

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق ص ٧٥٥ ح ١٠١٥، بحار الأنوار للشيخ المجلسي: الجزء (٢٣) صفحة (١٢٨) الباب (٧) الحديث (٥٩).

(٢) علل الشرائع للصدوق: الجزء (١) صفحة (١٢٧)، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٩١-٩٢

(٣) المصدر السابق

من هنا استعملت لفظة النداء، ومن هنا كانت الاستغاثة للأمة، كي تسلك سبيل الهدى، وتبتعد عن طريق الردى، لنتأمل مرة أخرى نـداء الرحمة التي ناداها نوح لابنه: ﴿**وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا**﴾، إنه يستغيث بـه كي لا يهلك ويغرق ويخلد في النار.

وبتعبيـر آخـر: إن محبة النبي والإمـام لأتباعهما كحب الأب أبنائـه، بل لعله تفـوق ذلك، ولقـد نظرنا كيف بكى الإمام الحسـين عليه السلام يـوم الطف علـى أعدائه، فلمـاذا هذا البكاء وحرقـة قلب منه عليه السلام؟ لأنـه يحبهم بما هم خلق الله، حتى عدوه كان يحبه بالعنوان الأولـي، بمعنـى أنه لم يكن يريد أن يذهب عـدوُّه إلى النار، بل يريد لـه أن يدخـل إلى الجنة، ذلـك أن هذا عبد من عبيد الله، لكنه بسـوء اختيـاره يريد أن يدخل النار وبالقوة، أليس هذا مقتضياً للبكاء عليه؟ وعيسـى المسـيح عليه السلام يقول: فيما روي عنه «أحبوا أعداءكم» لأن هـذا العدو عبد من عبيد الله وخلـق من خلائقه، فأحبوهم بذواتهم، لا بصفاتهـم، أحبوهـم بالعنوان الأولـي، أما إذا أصـروا على الضار واللجـاج والطغيـان والكفر فلا محبة ولا وداد بـل تجب البراءة منه ويجـب بغضه و كراهيته. فإنه إذا أصرَّ على اختيار طريق النار، وبقي علـى هذا الدرب الموبِـق المهلك، فإن من الواضـح أنه يجب علينا حينئذ أن نتبرأ من أعداء الله.

وليست هذه الشفقة والمحبة منه ومنهم عليهم السلام لهم إلا بالعنوان الأولي أي في المرحلة الأولى، وعلى حسـب مقتضى الطبع الأولي

وبلحاظ فطرته، لا بملاحظة أنه دنّس فطرته، ففي الرواية: «كل مولود يولد على الفطرة، إلا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه»[1] وبعبارة أخرى: المحبة له (لا بشرط) عن صفاته العارضة، بل (بشرط لا) عن صفاته، والبغض له (بشرط صفاته العارضة).

إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسائر المعصومين عليهم السلام ينادون البشرية والأمة بالولاية لكي تتولاهم، لأنهم القادة الذين يُنْجِحُون مسيرة الأمة والبشرية كلها في الدنيا وفي الآخرة أيضاً. فالقائد الكفوء والذي وضع في موضع القيادة بحق و بأهلية، إذا كان محباً حقاً لرعيته فإنه يستصرخهم: «أيها الناس! هلموا، تمسكوا بالقيادة الصحيحة، إن العدو سيغزو البلد وسيقضي عليكم جميعاً ولا مخلص منكم ولا مفر من الهلاك إلا بالتمسك بالقائد و التزام تعاليم القيادة» شفقة منه برعيته ورحمة منه لهم بعد معرفته بأن غيره سيجر الأمة إلى الهلاك و الردى، ويدفعهم للسقوط في الهاوية، فيتحطمون كما لم يتحطم أحد من قبل.

وفي هذا الحديث، نجد بوضوح معنى الاستغاثة متضَّمناً في هذه الكلمة، وما أرقُّ هذا المعنى وما أدقّه، أن الواحد منا إذا عرف هذا المعنى، وعرف والديه وعرف قدرهما، ومدى حبهما له ورحمتهما وشفقتهما، إذا عرف من هو أبوه ومن هو قائده وإمامه، فإنه سيبادله المحبة، والشوق، والرغبة، والطاعة، وسيسلّم له قيادة ويكون له أطوع من بنانه.

---

(١) تصحيح الاعتقاد للمفيد: صفحة (٦١) وفيه (وإنما أبواه..).

الموازنة بين الولاية وبين الصلاة والصوم والحج والزكاة.

الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الولاية، هذه هي العناوين التي أشارت إليه الرواية وعلينا دائماً أن نفكر بهذه العناوين الخمسة، ونتساءل ما هو الرابط بينها؟ ولماذا بني الإسلام على هذه الخمسة؟

الرابط بين الأربعة الأولى:

يحدد الإجابة على الرابط بين هذه الأربعة، البحث عن أنماط علاقة الإنسان، فإن الإنسان له علاقة بربه، وله علاقة بنفسه، وله علاقة بمجتمعه، وهذه العلاقة لها شعبتان أيضاً.

و(الصلاة) تُجسِّدُ علاقة الإنسان بربه.

و(الزكاة) تجسد علاقة الإنسان بمجتمعه في وجهها الاقتصادي، وذلك أن الحياة تبتني فيما تبتني عليه على الاقتصاد إذ (مَنْ لا مَعاشَ له لا مَعادَ له) حتى الآخرة، في الجملة تبتني على الاقتصاد.

و(الصوم)، يُجسِّدُ علاقة الإنسان بنفسه، إذ عليه أن يمتنع عن الأكل والشرب والمفطرات المعروفة، فهو بذلك يضبط نفسه، ويُسيطر عليها، ويتحكم فيها، فيكون هو الذي يسيّر سفينته في لُجج البحار، ولا تكون اللجج هي التي تأخذ به يميناً وشمالاً، قال تعالى: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[1] فهو يسلك بها سبيل الرشاد والهدى، بدل سُبُل الضلال والردى.

(١) سورة الشمس: الآية (١٠).

وأما (الحج)، فإنه يُجسِّدُ -فيما يجسد- علاقة الإنسان بالمجتمع، فإنَّ واحداً من أبرز وجوه الحج هو الوجه الاجتماعي. إذن علاقة الإنسان بربه، تجسدها الصلاة، وعلاقة الإنسان بنفسه يهذبها الصوم، وعلاقة الإنسان بمجتمعه في الوجه الاجتماعي يوجهها الحج، وعلاقة الإنسان بمجتمعه في وجهه الاقتصادي تتحكم بها الزكاة، والزكاة تشمل الخمس أيضاً.

وبالمناسبة أن السيد الوالد قدس سره كان يقول: «قد يتساءل المرء: لماذا توجد في القرآن الكريم آيات كثيرة حول الزكاة؟ كقوله تعالى: ﴿**وَأَوْصنى بِالصلَوةِ وَ الزَّكوةِ مَا دُمْت حَيًّا**﴾[1] لكن الخمس لم يذكر بهذا اللفظ إلا مرة واحدة في القرآن الكريم: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾[2] وفي الروايات «أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة»[3] وكان يجيب قدس سره بأن: «الزكاة تشمل الخمس أيضاً، فإنها أعم وهو من مصاديقها». ولا يخفى أن هذه الأركان الأربعة كلها ذات أبعاد مُختلفة غير منحصرة فيما ذكرناه، لكن قد يقال أن ما ذكر قد يعد من أبرز الوجوه في ذلك.

السر في أرجحية الولاية على الصلاة وغيرها، كونها مفتاحهن.

والآن ننتقل إلى الركن الخامس لنفاجئ بـ: (ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية) فماذا يعني ذلك؟ ولماذا (لم يناد بشيء كما نودي

(١) سورة مريم: آية (٣١).
(٢) سورة الأنفال: آية (٤١).
(٣) زيارات الإمام الحسين عليه السلام في كتب الدعاء والزيارة.

بالولايـة)؟ الإمام الباقـر عليه السلام في تتمة روايـة زرارة يجيب على هذا السـؤال عندما سـأله زرارة: أي شـيء من ذلك أفضل؟ فأجابه الإمام عليه السلام: (الولايـة، لأنها مفتاحهـن).[1] ذلك لأنه لـولا الولاية لكانت علاقة الإنسان بربه علاقة غير مَرضيَّة لله سبحانه وتعالى، قال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال: (إنما يتقبل الله من المتقين)، وكذلك علاقته بنفسـه غير سليمة، كما أن علاقته بمجتمعه في وجهيها الاجتماعي والاقتصادي، ستكون مختلة مضطربة.

ونكرر السؤال: لماذا لم يناد بشيء كما نودي بالولاية؟

والجـواب: لأن الولاية هذه يُراد بها (الولاية العظمى)، حيث يوجـد هنالـك نمطان مـن الولاية همـا: ولاية صغـرى، وهي ولاية تجزئيـة، وولايـة مُبعَّضة، مثـل ولاية الأب أو الجد علـى الابن، أو ولاية المولى على العبد، أو ولاية الوصي أو ما أشـبه ذلك، وتسمى ولاية القيِّم، وتوجد (ولاية عظمى) عاملة شاملة.

والولايـة المنـاداة بها فـي قولـه عليه السلام: «ولم يناد بشـيء كما نـودي بالولاية» تُشـير إلى الولايـة العظمى، وهي التي أشـير لها في الآية القرآنية الكريمة التي ابتدأنا بها بحثنا: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ فأية ولاية هي الثابتة لله سبحانه وتعالى؟ إنها الولاية العظمى، المطلقة، هـذه الولاية جعلهـا الله سـبحانه وتعالـى للرسـول صلى الله عليه وآله وسلم وجعلها

(١) الكافي للكليني: الجزء (٢) صفحة (٤٣).

للإمام علي عليه السلام من بعد الرسول، ثم للأئمة الأطهار واحداً بعد آخر فهي من المراتب الطولية لولايته جل إسمه.

الاستدلال بآية الولاية على العصمة الكبرى.

ثم إنه توجد أدلة عديدة يمكن أن نستنبطها من هذه الآية، في الاستدلال على عصمة الرسول والأئمة عليهم السلام وسوف نشير ههنا إلى استدلالين منها، الاستدلال الأول يعتمد على مفردة ﴿وَلِيُّكُمُ﴾، و الاستدلال الثاني يعتمد على كلمة ﴿إِنَّمَا﴾.

الاستدلال الأول: ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ دليل العصمة.

أما كلمة ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ فدلالتها ظاهرة، لأن الولاية التي جُعلت لله سبحانه وتعالى هي ولاية مطلقة، ونفس هذه الولاية أعطيت للرسول فالإمام، فإن الولاية المُعطاة في ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ هي على نفس الوزان، ونفس السِّياق للولاية الإلهية، فهي من حيث الصلاحية صلاحية مطلقة، منتهى الأمر أن هذا بالذات، وذاك بالعرض، والله هو الأصل والمُعْطَي، والرسول والإمام هو الخليفة والنائب والمُعْطَى. هذه مرتبة الخالق، وتلك مرتبة المخلوق، لكن الولاية بلحاظ السلطة وصلاحية التصرف، والسلطنة هي صلاحية مطلقة من جميع الجهات، فالآية مُطلقة، ومن البديهي أن الله سبحانه لا يُطلق الكلام -والعياذ بالله- على عواهنه بل كل كلمة عنده بميزان ومقدار وحساب كأشد ما يكون المقدار والميزان.

ثم أننا نجد لا دليل على تقييد هذه الولاية المطلقة الممنوحة

للرسول والإمام بنص هذه الآية الشريفة مع أنه لو كانت ولايتهما الممنوحة من قبل الباري تعالى مقيدة للزم التنبيه لها في الآية. وهنا يبرز سؤال هام والذي يستكشف به دلالة الآية على عصمة أولى الولاية وهو: هل من المعقول أن تمنح مثل هذه الولاية العامة المطلقة الشاملة لغير المعصوم؟

والجواب واضح بديهي حيث من غير المعقول بحكم العقل والفطرة أن تُجعل هذه الولاية بما للولاية من معنى وبما للسلطة من معنى وشمول، لغير المعصوم. فهل من المعقول أن يمنحها الله وهو الحكيم غاية الحكمة، لشخص غير معصوم، جائز الخطأ والاشتباه يحتمل في حقه أن يزل في أي موقع من المواقع، وفي أية قضية من القضايا، كلا ثم كلا، فإن ذلك خلاف الحكمة، ووضع للشيء في غير موضعه.

وبذلك نعرف أن تقنين وجعل هذا العيار الثقيل والوزن الكبير من الولاية العظمى الثابتة له سبحانه وتعالى وهي ولاية مطلقة من كل الجهات، للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وللإمام عليه السلام لهو دليل على عصمتهم الكبرى وإلا كان خلاف الحكمة، وخلاف العدل والإنصاف والعقل أيضاً.

الاستدلال الثاني: (إِنَّمَا) دليل الولاية المطلقة

يستفاد من كلمة (إنما) الدالة على الحصر، فإنها تدل على الولاية المطلقة و هي تدل على عصمتهم، ببيان: أنه لو كان المراد من الولاية الولاية الجزئية أي المحدودة أو الضيقة، لم يكن من الصحيح استخدام كلمة إنما الحاصرة، إذ أن من الثابت أن الأب له

نـوع ولاية على أبنائه، وكذلك الأجـداد، و كذا القيِّمون على الأيتام ومن أشـبههم، فإن لهؤلاء الولايـة التجزيئية، فعلى ماذا يدل الحصر في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾، فما الذي يحصره الله سبحانه وتعالى في ذاته القدسية وفي رسوله وإمامه؟

لا ريب إنه يحصر مفهوماً اسـتثنائياً خاصاً وإلا لم يكن هنالك موجب للحصر لو أُريد بالولاية تلك المشابهة لباقي أنواع الولايات، وليس ذلك المفهوم الاسـتثنائي إلا الولايـة العظمى المطلقة، وأين هذه الولاية من تلك الولايات؟

والحاصـل إن هـذه الولاية المجعولة للنبـي، وللإمام -والتي هـي فـي طول ولايـة اللـه سـبحانه وتعالى- هـي الولايـة العظمى، فإنهـا هي المحصورة في الله، ثم الرسـول والإمام، أما غيرها فليس بمحصـور في الله، والرسـول، والإمام، ولا يُعقـل الحصر أيضاً إلا بعد العصمة. ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام-: «ولم يناد بشيء كمـا نـودي بالولايـة» لأنهـا الولاية العظمـى، ولاية اللـه الممنوحة للرسول والأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين.

وعلى هذا فلو أن إنساناً رفض هذه الولاية ولم يذعن بها، فإن عباداتـه وأعماله سـتكون باطلة، من صلاته وصومـه وحجه، وعلى أحسن الفروض والصور، تكون غير مقبولة.

لماذا صلاة غير الموالي مرفوضة؟

وبذلك يظهر لنا السـر في أن صلاة غير الموالي مرفوضة لدى

اللـه تعالى، وذلك لأن الرسـول ﷺ يقول: «صلـوا كما رأيتموني أصلي»[١] فالصلاة تكون مرفوضة وباطلة أو غير مقبولة، إذا لم تطابق مـا أمر به رسـول الله، ولم يقتدِ به، بـأن صلى على غير ما صلى عليه رسـول الله، كما لو لم يصلِ مسـبلاً يديه واضعاً جبهته على التراب مثلاً، حيث أن مسـجد الرسول لم يكن مفروشاً بشيء، وكان ﷺ يصلـي علـى التراب. كما قـال ﷺ: «جُعلت لي الأرض مسـجداً وطهـوراً»[٢] والملفت أن هذه الرواية موجودة في بعض صحاحهم، وفي البخاري بالذات.[٣]

إن (الولايـة) بتصريـح الإمـام الباقـر عليه السلام هـي (مفتاحهن) فبدونهـا لا صلاة مقبولـة ولا صيام، فإن الله يقـول: صل كما صلى رسول الله، فإذا صلى المصلي بطريقة ثانية لم يكن المأتي به مطابقاً للمأمـور به، فتكون الصلاة غير مرضية للـه تعالى، وبالتالي لم يكن هنـاك مصحح للعلاقـة مع الرب، فـإن أُطُرَ تلك العلاقـة مع الرب، يجب أن يُحددها الله وليس هذا الشخص أو ذاك.

الله سبحانه وتعالى يقول صل بهذه الطريقة والكيفية، فإذا قال الشـخص: إنني إنسان عابد صالح ولكن أرغب في أن أصلي خمس ركعـات، أو أن أصلي ألف ركعة متصلة، فهـل صلاته مقبولة؟ كلا، إن صلاته باطلة. لأن الله سبحانه وتعالى يقول، صلِ مثل ما أمرتك،

(١)بحار الأنوار للشيخ المجلسي: الجزء (٨٢) صفحة (٢٧٩).
(٢) بحار الأنوار للشيخ المجلسي: الجزء (٧٧) الصفحة (١٤٩) الباب (١٢) الحديث رقم (١) عن أمالي الصدوق صفحة (١٣٠).
(٣)البخاري: الجزء (١) صفحة (١١٣).

وليس بطريقة أخرى، سواء أكان ذلك في الأجزاء أم في الشرائط أم في الموانع والقواطع. وكذلك الحال بالنسبة للصوم، فإن الإنسان إذا أفطر قبل المغرب، حتى لو أفطر مع الغروب، فإن صومه باطل، حيث أن علاقة الإنسان مع نفسه أيضاً، قد رَسَمَ حدودَها وشرائطها وموانعها الله سبحانه وتعالى، الخالق للعباد والمشرع للأحكام والعبادات.

والموضوع نفسه ينطبق على فريضة الحج، فإن الإنسان إذا أخلَّ بالموقفين فإن حجه باطل ولو لم يطف طواف النساء، فإن زوجته تحرم عليه اقتضاءاً، وإن كان من الناحية الظاهرية له حكم آخر، ومن الواضح أن مرتبة الاقتضاء والإنشاء ثابتة، لكن الحديث في مرتبة التنجيز[1]، وهل ترتفع العقوبة بالتزامه بمذهب آخر؟ إن ذلك يرتبط بكونه قاصراً أو مقصراً، ولهذا البحث مجال واسع يترك لمظانه من مباحث كيفية الجمع بين الحكم الظاهري والواقعي.

وكذلك الزكاة فإنه إذا لم يكن هناك ولي من قبل الله تسلّم له أو بإذنه، فإن الزكاة لا تقبل بل تراها تذهب إلى جيوب الإرهابيين التي تنتج هذه التفجيرات، والتلويث لسمعة الإسلام وسمعة المسلمين، هذا من الناحية الظاهرية والشكلية والقانونية. وأما من الناحية الواقعية، فإن الولاية -مع قطع النظر عن الشروط الشرعية- هي شرط القبول لكل الأعمال.

ويوضح ما سبق أن الشخص لو صلى وهو لا يعتقد برسول

(١) إذ في المرتبة الفعلية أيضاً في الجملة. فتأمل.

اللـه ﷺ فهـل صلاته مقبولـة؟ كلا، وإذا لم يعتقـد بالأئمة عليهم السلام فإن صلاته أيضاً ليسـت مقبولة، هذا مـن الناحية الجوهرية، على أن بعضها شرط الصحة كما هو واضح.

تأكيد ما مضى.

ونسـأل مرة أخرى لماذا (ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية)، ماهي الأسباب الكامنة وراء ذلك؟

وفي مقام الجواب نقول:

أولاً: لأن المـراد بالولايـة: (الولايـة العظمـى) وهي العمود والعماد والجوهر، لسائر العبادات وهي سر القبول للأعمال وملاك الصحة الثبوتية بالمعنى الأخص فتدبر.

ثانيـاً: لأن (الولاية العظمى) أمان من الفتن التي أقبلت كقطع الليل المظلم.

ثالثـاً: لأن (الولايـة العظمى) تشـكل الحصانة مـن (المحن) التي تؤدي إلى تدمير البلاد وتحطيم أُسس الحياة.

رابعـاً: أن هـذه الولايـة هـي سـرُّ سـعادة الإنسـان فـي الدنيا والآخـرة، فإن الإنسـان لابد له من مولـى، إذ لا أحد إلا وهو محتاج إلى ولي، و قيّم، و رئيس، و حاكم، وسلطان، لكن هذا السلطان مَنْ هو؟ هل هو الشـهوة؟ هل هو حب الرياسـة؟ هل هو المال؟ هل هو الفاسـق؟ هل هو السـلطان الجائر؟ أو سـلطانه ووليه هو رسول الله محمد ﷺ ثم من بعده أئمة المسلمين وصولاً إلى الإمام المهدي

المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف؟

إن الإنسان بذاته وتركيبته يحتاج إلى مولى وقائد[١] ودليل وهادي ومرشد كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٢]، وذلك من وجوه ضرورة هذه الولاية، ذلك أن هذه الولايةَ هي سرُّ السعادة في الدنيا والآخرة، فلو أن المرء كان عبداً لله، ولرسوله، والذين آمنوا، أي كان حقيقة عبداً لهم، لتحرر إذن من كل سلطان، تحرر من سلطان الأهواء والشهوات ومن سلطان عباد الأهواء والشهوات، وعندئذ ستجد أن الشهرة ليست مهمة عنده، و الرياسة ليست مهمة عنده، والمال ليس مهماً عنده، ليست بذات قيمة لديه ولا تشكل مقياساً لديه، وعندئذ يكون سعيداً حقاً وإن كان معدماً، وعندئذٍ يكون مجتمعه سعيداً به صدقاً، وذلك أنه لا يسرق ولا يخون ولا يرتشي ولا..ولا.. لأنه ليس عبداً للمال، كما أنه لا يظلم ولا يصادر حقوق الناس ولا يسجن أو يقتل لأنه ليس عبداً للسلطة والرياسة ولا يخادع ولايدلّس لأنه ليس عبداً للشهرة.. فهو الحر حقاً يستنشق عبير الحرية، ويحلق في هوائها، ويحبه ربه فوق ذلك أيضاً.

إن حياة الإنسان هي سلسلة من التحديات المستمرة مع الشيطان والأهواء والشهوات وسائر (الأغلال)، تصوروا إنساناً

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لابد للناس من أمير برٍ أو فاجر» نهج البلاغة: الجزء (١) صفحة (٩١) الحديث رقم (٤٠).
(٢) سورة الرعد الآية ٧

يمشي في الشارع فيقع بصره على امرأة أجنبية، فيغضَّ طرفه، فإنه بمجرد أن يغض طرفه، يُحِسُّ بلذة لا توصف، وسيستشعر قيمته وقيمة إرادته وسموه، بل ويستشعر رضا الله تعالى عنه، وفي الرواية: «من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غمض بصره لم يرتد إليه بصره حتى يزوجه الله من الحور العين»[1] فإذا تعرض المرء مائة مرة في اليوم الواحد لهذا المأزق، وخرج منه بسلام فإن مائة حورية تنتظره في الجنة، وتزداد كل يوم وهكذا وهلَّم جراً.

وكذا إذا عنّ له أن يكذب، فإذا أمسك نفسه فإنه قد نجح في هذه التحدي ويحسُّ عندئذ بقيمة لنفسه، ويستشعر عندئذ أنه أصبح سيد نفسه، وعبداً لربه ورسوله وإمامه، وبالعكس إذا كذب فإنه يحسُّ بمهانة وذلة وأسر، وإن حاول أن يَدفن ضميره ويُسكت صوته المجلجل في داخله، لكن ﴿**بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَه**﴾[2].

وكذلك المؤمن في قبال شتى المعاصي والموبقات: فإذا أوشك على الغيبة، أو التهمة، أو النميمة، أو الحسد، أو الكبر، أو العجب أو السرقة أو الخيانة أو الغش أو الربا والميسر ونظائرها، ولكن أمسك نفسه، فإن رصيد معنوياته يرتفع فوراً ويتحول إلى شخص ذي قيمة، ذلك أن قيمة الإنسان كل القيمة بأن يكون معناً حرفياً بالنسبة للعبودية.

---

(١) وسائل الشيعة: الجزء (٢٠) صفحة (١٩٣) الحديث رقم (٩)
(٢) سورة القيامة: آية (١٥).

ولأمثّل لكم مثالين من وحي المناسبة في اتجاهين متعاكسين متضادين:

معاوية وأمخاخ عشرة آلاف عصفور.

المثال الأول عن معاوية: يروي التاريخ أن أحدهم نزل ضيفاً عند معاوية -لعنة الله عليه- ويحدثنا قائلاً: أتوا بسفرة ما أفخمها، وأعظمها، وأشملها لصنوف الطعام، وكان من جُملتها طعام لذيذ جداً، لم أرَ ولم أسمع بمثله، فسألت معاوية: ما هو هذا الطعام؟ فقال: هذا الطعام مادته الأساسية هي (مخ العصافير)، حيث يمزج بعسل وسَمن وكذا وكذا، وأضاف معاوية: إن لنا صيادين شأنهم صيد العصافير وهم يصيدون عشرة آلاف عصفور لكل وجبة واحدة من هذا الطعام!.

أقول: لننظر كيف يؤدي الابتعاد عن القيادة الحقة والولاية العظمى وتعاليم أهل البيت إلى هذا المستوى من الطغيان والإسراف والظلم وتبذير الأموال العامة، يأمر بصيدها ليأكل مخها فقط، فكم حجم مخ العصفور؟ وكم يبلغ وزنه؟ عشرة آلاف عصفور يصيدونها ويذبحونها وينتزعون مخها ليطبخوه مع العسل وغيره، حتى يتمتع هذا الطاغية بوجبة لذيذة تنتهي في دقائق، ويبقى عليه وزرها ووزر من ساهم فيها، حيث أتلف أموال المسلمين بهذه الصورة الفاحشة). وصدق ربنا حيث يقول: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا..**﴾[1] ويقول: ﴿**لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ**

(١) سورة زمر الآية ٧١

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١].

إن معاوية وأشباهه، هم حقاً ممن يصدق عليهم: أنهم عبيد أذلاء للبطن، كما هم عبيد حقراء أذلاء للشهرة والمال، وأعراض الدنيا الزائلة.

ولقد تأخَّر ذات مرة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن كان الرسول بعث يطلبه، لكنه اعتذر بأنه مشغول بالأكل، ثم تكرر ذلك مرة ثانية فثالثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا أشبعه الله،[٢] فهذا نموذج العبد الذليل الحقير، فهل الإنسان قيمته أن يكون عبداً للبطن، أو للفرج، أو للرياسة، أو للشهرة، أو ما أشبه ذلك؟

إن سعادة الإنسان هي بأن يكون ولياً لله، ورسوله، والإمام المهدي المنتظر -عجل الله تعالى فرجه الشريف- طائعاً لهم، مهتدياً بهم، سائراً على دربهم، فإذا استشعر الإنسان هذا المعنى، وأن وَليَّه حقاً وصدقاً هو الإمام المنتظر، فإن معادلة الحياة كلها سوف تتغيّر، وسيكون كما قال تعالى: «عبدي أطعني تكن مثلي، أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون»[٣] و «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء»[٤] ولذلك قال الإمام الباقر عليه السلام: «ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية».

---

(١) سورة المؤمنون: آية (١٠٠).

(٢) صحيح مسلم: الجزء (٨) صفحة (٢٧) وسير أعلام النبلاء للذهبي: الجزء (٣) صفحة (١٢٣) ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: الجزء (١) صفحة (١٤٠).

(٣) بحار الأنوار للشيخ المجلسي: الجزء (١٠٢) هامش صفحة (١٦٤).

(٤) الكافي: الجزء (٢) صفحة (٦٨) باب الخوف والرجاء، الحديث رقم (٣).

الموازنة بين الولاية وبين الدنيا بحذافيرها.

المثال الثاني: نستلهمه من رواية عظيمة لها أبلغ الدلالة، فعن يونس بن يعقوب بن قيس أنه قال للإمام الصادق عليه السلام: «لولائي لكم وما عرَّفني الله من حقكم، أحبُّ إليَّ من الدنيا بحذافيرها»[1]. يعني ولائي لكم وكوني مولى، تابعاً، عبداً لكم «وما عرفني الله من حقكم» وهو بذلك يرجع الفضل لرب الأرباب فكما أنه الرازق للعلم والعقل والسمع والبصر، كذلك هو الرازق لمعرفة حق أهل البيت عليهم السلام «أحب إليَّ من الدنيا بحذافيرها».

ما أروع هذا المعنى السامي والرفيع والدقيق، ولنتأمل في أنفسنا، فهل (الدنيا بحذافيرها) أحب إلينا؟ أم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام؟ أيهما الأحبُّ إلينا؟ إن الإجابة الشفوية في عالم الشعارات والأقوال، سهل، ولكن في مقام العمل ستجدونه في غاية الصعوبة.

ومما يشهد بذلك: إن الإنسان إذا خسر مبلغاً من المال، أو أهانه شخص في المجلس، فإنه يتألم وربما لا ينام الليل، وقد يؤرقه ذلك لأيام، أو قد يتخذ مواقف تمتد آثارها لأشهر وسنين، وفي المقابل إذا سمع في بعض الإذاعات والفضائيات أو الجرائد والمجلات هضماً وبخساً لحق أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فهل يتألم لذلك بتلك الدرجة؟ وهل يتخذ سلسلة من المواقف العملية؟

---

(١) بحار الأنوار للشيخ المجلسي: الجزء (٧٥) صفحة (٢٦٥) الحديث رقم (١٧٧).

إن هـذه الكلمة جداً عظيمة: «لولايتي لكم وما عرَّفني الله من حقكم أحب إلي من الدنيا بحذافيرها» وذلك يعني: بشهرتها، بمالها، برياستها، بكل شيء فيها، بحذافيرها. وهل نحن صادقون في ذلك بحيث تكون ولايتنا لهم عليهم السلام أحب إلينا من الدنيا بحذافيرها؟ هل أحدنا يضحي كل يوم بساعة من نومه على الأقل لنصرة الدين والذب عن حياض عترة رسول رب العالمين للكتابة عنهم أو لهداية مخالفيهم، أو شبه ذلك؟ وهل يُضحي بنصف ثروته لذلك؟

والتعبير بـ (يُضحي) إنما هو من ضيق التعبير، وذلك لأن من يدفع واحداً ليربح المليار ليس بمضحي بل هو أكبر تاجر، أليس كذلك؟ حسناً، ألا يربح الواحد منا بكل دقيقة جهاد في سبيل الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام المليارات بل وأكثر وأكثر وأكثر، بل إن المُضحي حقيقة هو من لايفعل ذلك!.

وهناك رواية أقوى دلالة، وأشد وقعاً، يقول مولانا الإمام الصادق عليه السلام كلمة يجب أن تكتب بالنور على صفحات القلوب والصدور: «ولايتي لعلي بن أبي طالب عليه السلام أحب إليَّ من ولادتي منه، لأن ولايتي لعلي بن أبي طالب فرض، وولادتي فضل»[1].

عتاب الإمام ليونس لقياس الولاية بالدنيا.

وعوداً إلى رواية يونس السابقة: فإن الغريب مع ذلك كله نجد الإمام عليه السلام قد غضب من قوله هذا فأراد الإمام أن ينبهه إلى خطأ

(١) بحار الأنوار للشيخ المجلسي: الجزء (٣٣) صفحة (٢٩٩).

كلامه، وإنه من المعيب هذا القياس.

يقول يونس فتبينتُ الغضب فيه، وقال عليه السلام: «يونس، قستنا بغير قياس». والملاحظ أن الإمام لم يستخدم معه كُنية أو لقب بل ناداه باسمه المجرد ما يكشف عن أن هناك علاقة محبة وأخوة، وأنه كان جليلاً جداً، قال له: «يونس، قستنا بغير قياس، وما الدنيا وما فيها هل هي إلا سد فورة أو ستر عورة وأنت لك بمحبتنا الحياة الدائمة».

«يونس، قستنا بغير قياس وما الدنيا وما فيها..».

ماذا تقول يا يونس؟ هل توازن بين الدنيا بحذافيرها، وبين معرفة حقنا والولاية لنا، وتقول هذا أحب إليك من ذاك؟ وكم هي قيمة الدنيا؟ أليس ذلك كقول أحدهم: المليار أحب إلي من الفلس الواحد، أو رضوان الله والجنة أحب إلي من قطعة من حلاوة، أو يقيس الذرة بالمجرة؟. أفهل يصح القياس بين الأمرين؟ وهل هذا القياس طبق الموازين.؟ كلا وكلا.

«وهل هي إلا سد فورة أو ستر عورة» فورة الجوع يسدها الإنسان بقليل من الطعام، فتمتلئ المعدة بطعام قليل مهما كان، ثم يأتي الحساب والعقاب، أو الجزاء الأوفى والثواب، فلماذا هذا التكالب على حطام الحياة الدنيا؟ فإن الدنيا ليست أكثر من هذا، سواءً الغني أو الفقير، سواءً من أكل الخبز اليابس أم الطعام الدسم، فبالنتيجة الكل يعيشون، ويأكلون ويموتون وانتهى الأمر.

ولكن: «وإن لك بمحبتنا الحياة الباقية» ما لا يحصى من السنين ولا يعد سيربحها الموالي وصاحب الولاية، كل ذلك بسبب

محبتهم، هكذا يريدنا الإمام عليه السلام: أن نفهم، وأن نكون، وأن نسموا.. فنسموا.. فنسموا..

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيدنا وإياكم من محبة محمد وأهل بيته عليهم السلام وولايتهم يوماً بعد يوم بل ساعة بعد ساعة وآناً بعد آن، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المحتويات

كلمة الناشر ٥

الفصل الأول: لمن الولاية العظمى؟ ٩

توطئة ١١
التاريخ على شفير زمزم. ١٢
سائل قليل الصبر وإمام عظيم الكرم. ١٣
(١) احتمالات ثلاثة في المراد بـ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾. ١٨
الاحتمال الأول..... ١٩
الاحتمال الثاني..... ١٩
الاحتمال الثالث..... ١٩
(٢) لماذا أفردت صيغة (وَلِيُّكُمُ)؟..... ٢٦
الحكمة الأولى: لبيان أن الولاية طولية. ٢٦
ولاية المراجع: عرضية. ٢٧
الحكمة الثانية: لكي تفسرها سائر الآيات. ٢٨
(٣) لماذا عبر الله بـ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ دون (والذي آمن)؟. ٣١
١- لم تكن القضية حادثة يتيمة. ٣٢
تكرر التصدق وتعدد نزول الآية الكريمة. ٣٣

رواية ثانية: حلة النجاشي. ٣٣
رواية ثالثة: في مقابل اليهود..... ٣٤
دفع توهم. ٣٦
٢- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقصد بها كل الأئمة عليهم السلام. ٣٧

الفصل الثاني: الولاية: حقيقتها، فلسفتها، ولوازمها..... ٤١

الولاية: حقيقتها، فلسفتها، ولوازمها ٤٣
بني الإسلام على خمسة..... ٤٣
الدلالات العميقة لكلمة (كما نودي بالولاية)..... ٤٣
دلالات (النداء) في آيات قرآنية أخرى. ٤٤
لماذا الاستغاثة والاستنجاد للتولي والولاية؟ ٤٦
النبي وعلي عليهما السلام أبوا الأمة..... ٤٦
الموازنة بين الولاية وبين الصلاة والصوم والحج والزكاة..... ٥٠
الرابط بين الأربعة الأولى ٥٠
السر في أرجحية الولاية على الصلاة وغيرها، كونها مفتاحهن. ٥١
الاستدلال بآية الولاية على العصمة الكبرى. ٥٣
الاستدلال الأول: ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ دليل العصمة. ٥٣
الاستدلال الثاني: (إِنَّمَا) دليل الولاية المطلقة..... ٥٤
لماذا صلاة غير الموالي مرفوضة؟..... ٥٥
تأكيد ما مضى. ٥٨
معاوية وأمخاخ عشرة آلاف عصفور..... ٦١
الموازنة بين الولاية وبين الدنيا بحذافيرها. ٦٣
عتاب الإمام ليونس لقياس الولاية بالدنيا. ٦٤

المحتويات ٦٧